

"امبَاكُتْ- سي" والعبيَّة التعليمية

أ.د. لطيفة حسين الكندري

تتجه العقول والأنظار والقلوب نحو متابعة الأحداث الملتهبة على أرض غزة لتشهد شراسة وشراسة الصهاينة في سحق الوجود الفلسطيني، ولكن قلة من الناس تدرك وتتابع ضخامة وضاوة المعركة في جانبها التعليمي. هذا الجانب التربوي اللامرئي المتعلق بقراءة العقلية الصهيونية الابتزازية لا يقل عنفا وفتكا وعبيَّة عن الجانب العسكري. تسير السردية التعليمية والإعلامية عند الصهاينة بخطوات منهجية مضللة وغاية في الدهاء لدرجة يغفل عن متابعة فصولها كثير من المثقفين.

من الجميل جدا، بل من المفروض حتما مراجعة وتنقيح المناهج الدراسية من حين لآخر، ولا بد من الاستفادة من الخبرات الدولية بعيدا عن ضغوطات وإملاءات القوى الخارجية. تقوم منظمة "امبَاكُتْ سي" (impact-se) بالضغط السياسي والإعلامي على دول العالم لتعديل المناهج الدراسية (الكتب المدرسية والتدريبية، وأدلة المعلمين، والخرائط، والرسوم التوضيحية، والأدوات المساعدة) بما يتوافق مع تطبيع العلاقات مع إسرائيل وسياساتها الاستعمارية التوسعية، وترويض المسلمين والفلسطينيين والمنصفين لقبول السلام (بالمفهوم الصهيوني). وبموجب هذه الرؤية التسلطية فلا مفر من فرض المفاهيم الغربية الرأسمالية على محتوى الكتب الدراسية في كل الميادين لا سيما في التربية المدنية والمجتمعية والدينية والجغرافيا والتاريخ.

تأسست منظمة "امبَاكُتْ سي" في العام 1998م، وهي مؤسسة دولية للأبحاث والسياسات التعليمية مقرها لندن وتقوم بمراقبة وتحليل مناهج التعليم في جميع أنحاء العالم بهدف مواجهة التطرف وترسيخ الاحترام المتبادل بين الناشئة وقبول أولئك الذين قد يختلفون عنهم. تزعم

هذه المنظمة بأنها منظمة غير حكومية تعمل على التعليم الخالي من العنف، ولا يتعلق الأمر باليهود أو المسيحيين أو الفلسطينيين أو المسلمين، بل يتعلق بنشر التعليم وتوطين ثقافة السلام. من غايات هذه المنظمة نشر مفهوم التعليم الشامل وقبول المثليين ضمن برنامج "المهارات الحياتية".

ولو ذهبنا للاطلاع على السير الذاتية لأعضاء مجلس إدارة "أمبَاكْتُ سي" نجد أن معظمهم أو كلهم على اتصال وثيق بالجامعة العبرية في القدس، ونشطاء في دعم الأنشطة اليهودية، وأصدقاء لجيش الدفاع الإسرائيلي، ولجنة الشؤون العامة الأمريكية - الإسرائيلية. منذ اتفاق أوسلو 1993م، ثم أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 م تصاعدت حدة الدراسات الأكاديمية المغرضة لتدفع نحو تشكيل الإسلام الديمقراطي المدني القابل للانقياد والخضوع للسياسات الغربية اقتصاديا وقيميا. تنطلق التدخلات السافرة في تشكيل الثقافة المدرسية في كل بلدان العالم من المركزية الغربية المقيتة ونظرتها العنصرية الاستعلائية ودوافعها الانتهازية. تكتب "أمبَاكْتُ سي" مجموعة تقارير تفصيلية عن مناهجنا الدراسية لا سيما فيما يتصل بإسرائيل والصهيونية وتنتقد بشدة كل صور المقاومة الفلسطينية، وتتغافل تماما عن مجازر الصهاينة في حق الفلسطينيين، وتقف هذه المنظمة المشبوهة ضد كل من يتعاطف مع فلسطين ولو كان يهوديا أو منصفا.

وفي هذا السياق فإن هذه المنظمة في نهاية المطاف تخدم الأغراض الصهيونية العبيثية، وتعمل على تمكين الغرب لفرض قيمه ومصالحه على المناهج الدراسية في العالم الإسلامي حماية للمحتل الإسرائيلي. التعايش السلمي في منظور هذه المؤسسة يعني قبول الاحتلال الإسرائيلي، بل أيضا يذهب بوضوح إلى قبول

الشذوذ الجنسي، وخلخلة أصول البناء الأسري. تقوم "امبأكت سي" بتشويه الهوية الوطنية للشعوب، وطمس حقائق التاريخ و الطبوغرافيا، وسلب جوهر القيم الدينية تحت ذريعة البحث العلمي ومحاربة التطرف لتحقيق التعايش السلمي استغلالا لمبادئ ومعايير اليونسكو. في هذه المنظومة الإمبريالية المنبثقة من الهيمنة والتوسع يتم تدمير أركان الأسرة لمصلحة المنفعة الفردية امثالاً لقاعدة البقاء للأصلح أي البقاء للنخب الغنية لا القيم النقية. وهكذا تلتقي الأصول الفكرية الصهيونية مع الرأسمالية والإمبريالية في استنزاف الدول النامية وعدم السماح بالتكافؤ بين الأمم. هذه المنظومة الانتهازية الانتفاعية لا تُعارض الإبادة الجماعية طالما أنها تخدم مصالحها الذاتية. إن تعاطف الغرب مع أوكرانيا وتخاذلها مع الفلسطينيين دلالة قطعية على ازدواجية معايير العدالة الغربية.

يتعين على المثقف العربي تفكيك الخطاب الصهيوني، ورصد مغالطات المؤسسات البحثية والإعلامية الصهيونية برؤية نقدية منهجية تفضح تناقضات وزيف الخطاب الصهيوني الانتقائي. استنادا لنعوم تشومسكي وإيلان بابيه وإدوارد سعيد ونورمان فنكلشتاين وغيرهم من المفكرين الكبار تقوم التربية الصهيونية وكتبها الدراسية على إفساد عقول الشباب في إسرائيل عبر التلقين الذي يجرّد الفلسطينيين من إنسانيتهم. حين يرى الجندي الإسرائيلي طفلاً فلسطينياً، فإنه لا يرى رضيعاً عاجزاً، بل عدواً مقتدرًا. حتى في الغرب من الصعب لطلبة الجامعة هناك فهم حقيقة الكيان الصهيوني في فلسطين باعتباره استعماراً سافراً. إن النزعة في دفع اليهود للهجرة إلى فلسطين واستيطان أراضيها مدعومة بدقة من الغرب، والإسلاموفوبيا، والمطامع المادية. يفحص الصهاينة مناهجنا الدراسية بخبث ويقذفنا بكل

نقيصة يعاني هو منها؛ "رَمَتْنِي بِدَائِهَا وَانْسَلَّتْ". إن المناهج الدراسية الإسرائيلية العنصرية المزيفة، ومن خلفها الخطاب الإعلامي وتصريحات قادة الصهاينة عبر أكثر من 100 سنة لا صلة لها بقيم التعايش السلمي، بل نابعة من ثقافة استعمارية دموية أكدتها بشاعة الأحداث الغزافية.

من الواضح أن هدف هذه المنظمة البحثية العبيثة؛ "امبَاكْتُ سِي" تضليل الرأي العام، وتشويه ثقافة المقاومة، وترويج الانحلال الأخلاقي، والضغط السياسي والإعلامي على الدول والمنظمات من مثل (الأونرا) وترهيبها لقطع الدعم المالي عن الفلسطينيين والتستر على الجرائم الإسرائيلية القائمة على القمع والقتل، والفصل العنصري، والتوسع الاستعماري، واعتبار كل نقد لإسرائيل هو معاداة للسامية. قال سبحانه "قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ (118)" (آل عمران).